المحاضرة الرابعة : التيار المتشدد وأهم وراده.

- نزار قباني(1998/1923):

شاعر سوري مشهور جدًّا، وهو الشاعر المفضل عند الشباب العربي من الجنسين (الذكور والإناث)، أطلق عليه النقاد لقب، "شاعر العصر" واعتبروه "رائد الاختزال في الشعر العربي الحديث" ومقوض الثرثرة الشعرية في القصيدة العربية إلى جانب لقبه المعروف شاعر المرأة

ولد نزار قباني بمدينة دمشق بسوريا عام 1923 وأنهى تعليمه الأولى بها ثم حصل على الإجازة في الحقوق من جامعة سوريا وعمل في المجال الدبلوماسي، وزار معظم دول العالم، توفي بلندن ببريطانيا عام 1998. له العديد من الدواوين نذكر منها: "كتاب الحب"، قاموس "العاشقين" (1981)، قصائد ممنوعة (1986، قالت لي السمراء (1944)، "قصائد" (1956)، " أنت لي" (1950) [1]. " هوامش على الهوامش" 1991، خمسون عامًا في مديح (1994).

كان نزار قباني شاعرًا محاصرا من قبل الجميع من المحافظين؛ لأنهم اعتبروه شاعرا خرج عن قواعدهم الكلاسيكية، وتطاول على جمالية القصيدة القديمة، فوقع في خطأ الغير مألوف خاصة فيما تحدث على المرأة لا باعتبارها مشروعا حداثيا؛ بل باعتبارها علامة تجارية، فالمرأة صارت عنده شكلا فقط بخاصة في مراحله الشعرية الأولى،وهذا مرفوض لأن المجتمع في الخمسينات والستينات كان منشغلا بقضايا التحرير السياسي والاجتماعي وتحرير المرأة، وليس تحريرها بأن تغير لباسها وشكلها... ولا يعني حريتها إلى ما نهاية، فالمجتمع لم يكن مستعدا لاستيعاب هذا النوع من الشعر ذو التوجه التجاري الذي لاقى رواجًا كبيرا عند فئة الشَّباب كان نزار يمارس السياسة على طريقة أحمد شوقي، فهو يعتبر نفسه من رواد الحداثة؛ أي منفتح على الليبرالية ولغته في الوقت نفسه متمسك بالواقعية الاشتراكية، فهو من حيث الشكل اشتراكي متمسك بشعر التفعيلة ويدافع عنه (متأثر بنازك والسياب)، ومن حيث المضمون ليبرالي(متحالف مع الأدونيسيين) ضدّ الواقع الاشتراكي وهذه في الحقيقة ليست حداثة؛ لأن الحداثة تعني الاتساق والانسجام، ويجب على الشاعر أن يبقى ثابتا على أفكاره ومنسجم مع نفسه، ولكن الذي تتغير أفكاره ومواقفه؛ فهو شاعر سياسي؛ وبالتالي تحول كل شيء في شعر نزار إلى شكل، فالمرأة شكل والحداثة شكل والثورة شكل، وتحول نزار إلى منتج للأشكال حتى بعد استقالته من السلك الدبلوماسي.

ولكن متى تغير نزار فعلا؟

---

[1] -ينظر: حسن أحمد بيرش، الشامل، ص56.

تغير نزار فعلا بعد عام 1967، تغير في الشكل والواجهة الفنية الشعرية، أما التفكير الشعري فبقي كما هو، فالمرأة قبل 67 كانت شكلا ولكن تحولت وأصبحت بعد 67 رمزا للثورة للحرية، رمزا للوطن فالمرأة ليست شكلا؛ هي أيضا معنى، قيمة، عقل، فكر، ثقافة.

ومن قصائده الجميلة قصيدة" غرناطة":

يقول نزار قباني: [2]

فِي مَدْخَلِ (الحمراء) كان لقاؤُنَا.
مَا أَطْيَبَ اللُّقْيَا بِلاَ مِيعادِ
عَيْنَانِ سَودَاوَانِ فِي حَجْرَيْهِمَا
تتوالَدُ الأَبْعَادُ من أَبْعاد
هَلْ أَنْتِ إِسْبَانِيّة سَاءلْتُهَا
قالت: وفي غَرْنَاطَة مِيلادي
غَرْنَاطَةُ وصحتْ قرونٌ سبعةٌ
في تَيْنِكِ العَيْنَيْنِ بعد رٌقَادِ
وأُمَيَّةُ راياتها مرفُوعَةٌ
وجِيَادُهَا مَوْصُولةٌ بِجِيَادِ
مَا أَغْرَبَ التاريخَ كيفَ أعادني.
لحفيدة سمراءَ من أحفادي
وَجْهٌ دمشْقِيٌّ رأَيْتُ خَلاَلَهُ
أجفانَ بلقيسَ وجيدَ سُعادِ
ورأيْتُ منزِلَنَا الْقديمَ وحُجْرَةً
كانَتْ بهَا أُمّي تَمُدُّ وِسَادِي
والياسمينةُ رُصِعتْ بنجُومِهَا
والبِرْكَةُ الذَّهبيَّةُ الإِنشادِي
ودمشْقُ... أَيْنَ تكُونُ؟ قُلْتُ تَرينَهَا
فِي شعْرِك المنسابُ نَهْرُ سوادِ
في وجهكِ العربي في الشّعر الذي
مازالَ مختزنًا شمُوسَ بلادِي...
سَارَتْ... والشّعْر يلهث خلفها.
كَسَنَابل تُرِكَتْ بِغَيْرِ حصَادِ
يتألَّقِ القرط الطويل بأذنها

---

[2] – الأعمال الكاملة لنزار قباني

مثل الشموسِ بليلة الميلادِ
وَمَشَيْتُ مثل الطّفل خَلْفَ دليلتِي
وَوَرائِي التَّاريخُ كوْمَ رَمَادي
قالتْ: هُنَا (الحمراء) زهوى حُدُودِنَا
فاقْرَأ على جُدْرَانِها أَمْجَادِي
أَمْجَادُهَا؟؟ وَمَسَحَتْ جرْحًا نَازِفًا
وَمَسَحْتُ جُرْحًا ثَانِيًا بِفُؤَادِي
يَالَيتَ وارِثَتِي الجَميلة أدْرَكَتْ
أنَّ الذين عنتهم أجدادي
عانقْتُ فيهَا عِنْدَمَا ودَّعْتُهَا
رجُلًا يسمَّى (طارق بن زِيادِ)

حينما يكتب المؤرخ عن حادثة تاريخية فإنه ينقل نقلا أمينا للأحداث التاريخية بعيدا عن الذاتية، أما الشاعر فيخضع التاريخ إلى وجدانه الخاص وذاتيته وإحساسه ومشاعره، فيمتزج الذاتي بالموضوعي وما هو حقيقي بالعاطفي، إلا أن الحقيقة تبقى دائما كامنة في ذلك الإحساس النابع من الوجدان، فيأتي الشعر مليئا بالرموز والانزياحات.

والمتأمل قصيدة غرناطة يجد الشاعر يتخذ من المرأة رَمْزًا يمثل تواصلاً وامتدادًا حضاريا، فيعانق حزنه وألمه أسفًا عن ذلك المجد الآفل؛ فتلك المرأة منحدرة من أصول عربية مسلمة كان لهم فضل فتح الأندلس ونشر راية الإسلام فيها غير أن هذا الإنجاز الحضاري ما لبِثَ أن تحوّل إلى ذكرى عالقة في النفس تارة تدخل إليها الإحساس بالعزة والانشراح وأخرى تدخل عليها الحزن والأسى.